جامع الشهداء

الباحثة نبيلة القوصي

إخوتي الكرام:

في دمشق الحبيبة مساجد شواهد على عظمة تاريخ هذه المدينة، فكل مسجد فيها حكاية جميلة تحكي لنا كيف استحقت مدينة دمشق اسم **(مدينة المساجد).**

وها هو جامع الشهداء الذي قدم لنا حكاية شهداء الفتح الإسلامي أيام الخليفة عمر بن الخطاب الأخوة الثلاثة لأم صحابية وقد أتينا على سيرتهم.

فهيا معا أيها السائح المسلم نقف معاً على معالم هذا المسجد نبدأها بتحية المسجد ثم نتأمل ذاك المعلم الأثري القديم، بنية يملؤها الشغف للمعرفة لتغيير أحوالنا للأفضل بإذن الله.

بداية لابد لنا من تذكرة لمن يقرأ معنا أننا قد ذكرنا فيما مضى بأن حي الصالحية في سفح قاسيون شكل أول حي خارج أسوار دمشق القديمة وبهمة بنو قدامة رحمهم الله وجزاهم الله خيرا، أخذت الأحياء تتشكل وتكثر ما بين دمشق القديمة وهذا السفح على حساب الأشجار الخضراء نتيجة الانتشار السكاني والعمراني حيث أزداد تألق دمشق مع الأيام لمن عرف قدرها ومكانتها من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم فأحب أن يكون له نصيب من شرف أحاديث رسول الله في الشام ودمشق خاصة.

وتخبرنا المراجع أن البناء العمراني المخطط في هذه المنطقة قد بدأ في عام ١٩٢١م حيث سكنها العائلات الفرنسية والإيطالية الثرية، وذلك بين أحياء سكنية صغيرة موجودة من قبل فيها أضرحة لشهداء وعلماء كبار وبنيت المساجد فيما بعد إلى جانب تلك الأضرحة لتلبي حاجة كل حي، ومنهم مسجد السنجق دار ومسجد الشهداء القائم في وسط سوق الصالحية الذي نقف الآن في داخله نتأمله بقلوب محبة لله ورسوله، وهذا ما يفسر الشعور بتلك النسائم الروحية ونحن نمشي بين الحارات الدمشقية، وقد تكلم ووصفها من مشى فوق أرضها، فهيا معا نسأل الله الفائدة والمتعة.

أين يقع جامع الشهداء؟

يقع خارج سور دمشق في وسط الطريق المؤدي لحي الصالحية، وتقع قبور الشهداء في جهته الجنوبية الشرقية، بحيث ينزل إلى الأضرحة بدرج فنجد القبور الثلاثة مبنية من الحجر الرخامي كتب عليهم أسماء الشهداء: (مساعد وجابر بن مسعود وحرملة بن وائل) تطل القبور على الصالحية بثلاث نوافذ قوسية.

وكانت هذه المنطقة المتواجد فيها الجامع ضمن قرية صغيرة وقديمة منفصلة عن دمشق وتسمى أرزة كان قد نزلها المسلمون الأوائل منذ الفتح الإسلامي، ثم اضمحل أمرها في القرن العاشر للهجرة.

ولا تتوفر معلومات عن تاريخ بناء هذا المسجد القديم ولا من بناه فقط تواتر اسم مئذنته باسم مئذنة عبد الحق ولا يعرف من هو عبد الحق، وذكر (ابن طولون) في القلائد الجوهرية أن الذي بناه الشيخ محمد بن قديدار صاحب الشيخ أبو بكر الموصلي في العهد المملوكي ٧٧٤و٧٩٧هـ.

وللدخول إلى المسجد يصعد إليه بثلاث درجات مرتفعات لذا سمي بالمسجد المعلق أي (المرتفع عن الأرض) عرف هذا النوع في العصر المملوكي.

ولحرم المسجد سقف خشبي جميل مسنم، تم تجديد مؤخرا وتجديد المحراب بالرخام المزركش.

أما المنبر: عبارة عن قاعدة رخامية فقط عليها منصة خشبية للخطابة ويمكن مشاهدة القبور الواقعة في جهته الجنوبية الشرقية، أما من الطريق من خلال إحدى النوافذ القوسية الثلاثة.

ولزيارة القبور يمكن النزول إليها بدرجات حيث القبور مستطيلة الشكل ومبنية من الرخام، مع الأيام تحول هذا الطريق إلى أحد أسواق دمشق المشهورة والذي (عرف بسوق الصالحية).

تغير نوعاً ما عن نموذجه الأصلي الذي بني عليه ولكن حافظ على مئذنته التي بنيت على الطراز الشامي بتأثير عثماني، وللمئذنة جذع مثمن قصير الارتفاع، والشرفة مثمنة خشبية تستند على مجموعة كثيفة من الأفاريز الخشبية يحيطها درابزين من الشبك المعدني وتغطيها مظلة تحمل جوسقا بسيطا وفوقه قلنسوة مخروطية على شاكلته عثمانية الطراز.

وندع لك أيها السائح المسلم التجول بين زوايا المسجد وبين جوانحك نبتة كريمة قد أخذت تنمو منذ أن وضعت قدميك فوق أرض دمشق تبحث عن المعلومة بنية الفائدة قبل المتعة وتضييع الوقت.

ثم قف خارج المسجد متأملاً وداعياً لمدينة دمشق (مدينة المساجد) ومدينة (الصحابة الكرام) ومدينة (العلم والعلماء) ومدينة (الصالحين)..... أن يحفظها وسائر بلاد المسلمين أجمعين، اللهم آمين، يا رب العالمين اللهم من أراد بها شرا أو مكرا فخذه أخذ عزيز مقتدر واجعل كيده في نحره وأعذنا اللهم منه وممن كان على شاكلته.

المصادر والمراجع:

القلائد الجوهرية | لابن طولون

مآذن دمشق تاريخ وطراز | الدكتور قتيبه الشهابي.

دمشق وتاريخها العمراني | الدكتور بشير الزهدي.